لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٧١)

فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

المجلس السادس والأربعون من أمالي

الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله
ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)
رحمه الله تعالى

دراسة وتحقيق
الحسين بن محمد الحدادي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

الطَّبْعَةُ الأُولىٰ
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧
فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣ e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

القسم الأول

قسم الدراسة

ويشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث، هي :

المبحث الأول : لمحة من حياة الحافظ ابن عساكر .

المبحث الثاني : موضوع الرسالة .

المبحث الثالث : المنهج المتبع في التحقيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

«مَا أُشكِلَ عَلَيْنا ـ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ حَدِيثٌ قَطُّ فَسأَلْنا عَائِشَةَ، إِلاَّ وَجَدْنا عِندَها مِنهُ عِلْماً»

[أبو موسى الأشعري رضي الله عنه]

مقدّمة

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستَنَّ بسنَّتهِ إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فإنه لمقام عظيم، وخَطب جسيم، وأنى لمثلي أو غيري، أن يتحدث أو يستوفي بعض مناقب حليلة خاتم النبيين، ومن الذي يعلم كل فضائلها إلاَّ الله عزَّ وجلّ، «وفضل عائشة على النساء كفضل الثَّريد على سائر الطعام»(١)، لا جرم فهي الصدِّيقة بنتُ الصدِّيق، الشريفةُ النسيبة، العالمة الفقيهةُ، أمُّ المؤمنين، وحليلةُ خاتم النبيين، في الدنيا والآخرة، وهي أحبُّ النساء إليه، وأصغر أزواجه، وجاء جبريل في صورتها، وكانوا يتحرون من

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة (ح ٣٧٦٩)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة (ح ١٨٨٦).

الأيام يومها، ومات وهو في حِجْرها، وهي المرأة العالمة في الإسلام، حتى قال أبو موسى الأشعري: «ما أشكل علينا ـ أصحاب رسول الله ﷺ ـ حديثٌ قط فسألنا عائشة، إلَّا وجدنا عندها منه علماً»[١].

فهي كالبحر المتلاطم الأمواج، وهي الفقيهة المحدِّثَة، والأخبارية النسَّابة، والأديبةُ المفسرةُ، وهي الطاهرةُ المبرأةُ العفيفةُ:

حَصَانٌ رزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الغَوافِلِ
حَليلةُ خيْرِ النَّاس ديناً ومنصِباً ... نَبيُّ الْهُدَى والمكْرماتِ الفَواضِل
عَقيلَةُ من لَؤيٍّ بنِ غَالِبٍ ... كِرَام المسَاعي مَجْدُها غيْر زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَد طَيَّبَ الله خِيمَها ... وَطَهَّرَها مِن كُلِّ سُوءٍ وَباطِلِ

فهي في كل فن متعددة المواهب، مختلفة الأدوار، لم يجتمع لأنثى في تواريخ الأمم ما يداني مكانتها، ونقلت واستدركت على الصحابة من الآداب والأحكام الشيء الكثير[٢]، اجتمع لها الشرف من كل أطرافه، ولو لم يكن لها من الشرف إلَّا قول النبي ﷺ: «هذا جبريل يقرأ عليك السلام»، لكان حسبها، فكيف وفضائلها عديدة[٣]، أعزَّها الله تعالى ما أشرقت الشمس بنور، وبزغ القمر بضوء.

---

(١) أخرجه الترمذي، باب في فضل عائشة ٦/ ١٨٢ (ح٣٨٨٣)، صحيح الترمذي للألباني (ح ٣٠٤٤).

(٢) وقد ألف في ذلك الزركشي كتابه المشهور: «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة»، وللسيوطي كتاب في ذلك.

(٣) انظر أدلّة هذه المناقب وغيرها، في: الجامع الكبير للترمذي، باب في فضل عائشة ٨/ ١٨٠، ودر السحابة في مناقب القرابة للشوكاني ص ٣١٨ ـ ٣٢٢.

وهذا جزء لطيف، ومبحث طريف، في (**فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها**)، من إملاء العلاَّمة المحدِّث المؤرِّخ الحافظ ابن عساكر رحمه الله (ت ٥٧١هـ)، ولقد درج فيه على نهج المسلمين من تبجيل أمهات المؤمنين، والحفاوة بهن، ومعرفة عظيم قدرهن، وإن المسلمين إنما ينهجون هذا المنهج محبةً للنبي ﷺ ولأزواجه رضي الله عنهم، كل ذلك تقرباً إلى الله عزَّ وجلّ وطاعةً له[١].

وقد قابلته على نخبة من مشايخنا وأساتذتنا[٢] ـ جرياً على عادة المحدثين في العرض والمقابلة ـ في لقاء العشر الأواخر من رمضان المبارك (١٤٢٤هـ)، فاستحسنه كثير منهم، فشجعني ذلك على تحقيقه وإخراجه، والتعليق البسيط على بعض المفردات الغامضة، وتخريج الأحاديث من مصادرها، وعزو الآيات القرآنية إلى سورها.

وقد قسَّمت عملي في هذا الجزء إلى قسمين:

القسم الأول: يشتمل على مقدمة وثلاثة مباحث وهي:

المبحث الأول: لمحة من حياة ابن عساكر.

المبحث الثاني: موضوع الرسالة.

المبحث الثالث: المنهج المتبع في التحقيق.

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مع تغيرات يسيرة. انظر: منهاج السنَّة ٣٠١/٤.

(٢) منهم الشيخ: العالم المحقق محمد بن ناصر العجمي، والشيخ العالم البحريني نظام يعقوبي، وقد كتب لي وللحاضرين سماعه وروايته لهذا الجزء، تجده في آخر هذا الإملاء.

القسم الثاني : النص المحقَّق .

* * *

وقبل ختام هذه المقدمة، أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل، إلى أخي وزميلي الشيخ عبد الرحمن الهيباوي ــ حفظه الله ــ الذي أهدى إليَّ هذه النسخة النفيسة من مكتبته العامرة، فجزاه الله خير الجزاء.

وهي من مخطوطات مكتبة يهوذا بالولاية المتحدة الأمريكية، ضمن مجموع يحمل رقم ٤٠٩ .

والشكر كذلك موصول إلى الدكتور عبد اللطيف بن محمد الجيلاني ــ حفظه الله ــ الذي أنار لنا هذا الطريق بتصويباته الدقيقة، ومعلوماته القيمة.

والله أسال أن يجزيهما عنا خير الجزاء، وأن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

وكتبه :

الحسين بن محمد الحدادي

بالمدينة النبوية فاتح ربيع الثاني (١٤٢٥هـ)

المبحث الأول

لمحة من حياة الحافظ ابن عساكر[1]

(اسمه ونسبه، مولده، نشأته، رحلاته، مؤلفاته، ووفاته)

اسمه ونسبه:

هو علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الدمشقي المولد والدار والوفاة، الشافعي الحافظ المؤرخ المحدث.

---

(١) نكتفي بهذه المقتطفات من ترجمته، ويحسن الإشارة لمن أراد التوسع في ترجمته بما يلي: خريدة القصر «قسم شعراء الشام» للعماد الأصفهاني ١/ ٢٧٤، المنتظم لابن الجوزي ١٨/ ٢٢٤، معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٣/ ٧٣، ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١/ ٣٣١، مرآة الزمان سبط ابن الجوزي ٨/ ٢١٢، الروضتين لأبي شامة ١/ ١٠، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/ ٣٠٩، السير للذهبي ٢٠/ ٥٥٤، مرآة الجنان لليافعي ٣/ ٣٩٣، طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ٢١٥، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٢٩٤، طبقات الحفاظ للسيوطي ٤٧٤، مفتاح السعادة ٢/ ٢١١، شذرات الذهب ٤/ ٢٣٩، وكتبت عنه عدد من الدراسات أذكر منها: الحافظ ابن عساكر محدث الشام ومؤرخها الكبير، للدكتور محمد مطيع الحافظ، نشرته دار القلم بدمشق (١٤٢٤هـ)، وابن عساكر ودوره في الجهاد ضد الصليبيين، أحمد عبد الكريم حلواني، نشرته دار الفداء بدمشق (١٤١٩هـ)، وصور حضارية من حياة ابن عساكر للدكتور مازن المبارك بحث نشر في مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الرابع، والكلمات والبحوث والقصائد الملقاة في الاحتفال بمؤرخ دمشق الكبير ابن عساكر في ذكرى مرور =

مولده:

قال السمعاني: «سألته عن مولده فقال: في العشر الآخر من محرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة»[1].

نشأته:

نشأ ابن عساكر في بيت معمور بالأئمة.

فأبوه الحسن بن هبة الله (ت ٥١٩هـ). كان من العلماء الربَّانيين، بل عده من شيوخه[2]. ووالدته من بيت شرف وجاه. وأخوه الأكبر صائن الدين (ت ٥٦٣هـ)[3] إمام حافظ. وجده وخاله كانا قضاة، وأخته تزوجت من بيت علمٍ وجاه، وأنجبت ابنين صارا عالمين، وأخذ أحدهما عن خاله ابن عساكر كتاب التاريخ، وفي هذه الأسرة المليئة بالعلم والعلماء نشأ، وفي رعايتهم درج وارتقى، ووجد حوله العلم من كل ناحية.

رحلاته:

رحل ابن عساكر ــ وهو ابن واحد وعشرين سنة، بعد وفاة والده بسنة واحدة ــ رحلتين[4]:

= تسعمائة سنة على ولادته، نشرها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بدمشق (١٣٩٩هـ)، وموارد ابن عساكر في تاريخ دمشق رسالة دكتوراه لشيخنا الدكتور طلال بن سعود الدعجان، نشر عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية (١٤٢٥هـ)، والآثار المروية عن أئمة السلف في العقيدة في كتاب تاريخ ابن عساكر للباحث توفيق طاس، ماجستير بالجامعة الإسلامية.

(١) خريد القصر، قسم شعراء الشام ١/ ٢٧٤.

(٢) معجم شيوخ ابن عساكر ص ١/ ٢٦٩ (٣١٦).

(٣) خريدة القصر ١/ ٢٨١.

(٤) ابن عساكر في بغداد، للدكتور بشار عواد معروف في الكلمات والبحوث =

* **الأولى إلى العراق**: من (٥٢٠هـ) إلى (٥٢٥هـ)، لمدة خمس سنوات، وتجول على عدد من المدن العراقية كبغداد، والأنبار، والكوفة وغيرهم وأخذ عن علمائها، حيث سمع من ٣٧٣ شيخاً[١]، وفي خلال هذه الفترة رحل لأداء مناسك الحج.

* **والثانية إلى خراسان**: من (٥٢٩هـ) إلى (٥٣٣هـ)، واستمرت هذه الرحلة أربع سنوات، حيث تم له الأخذ، عن عدد من العلماء في منطقة خرسان وهي: نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ... وغيرهم[٢].

مؤلفاته:

قد وصف ابن عساكر «بأنه كان محضوضاً في الجمع والتأليف»[٣]، وقد تحدث الباحثون والمترجمون لابن عساكر عن تراثه، وعدد ما هو مطبوع منها أو مخطوط، ويجدر بنا أن نشير هنا فقط إلى أن ولده قد ذكر أن عدد مؤلفات والده بلغت ستين كتاباً، بينما تتبع الشيخ مطاع الطرابيشي كتبه المطبوع منها والمخطوط فصنع ثبتاً لمؤلفات ابن عساكر فبلغ به تعدادها مائة وثلاثة وأربعين مصنفاً[٤]، وأبلغها الدكتور كوركيس عواد إلى ما يقارب مائتي مؤلفاً[٥]، فليراجعا.

= ص ٤١ ــ ٥٩، صالح الدين المنجد في مقدمة المجلدة الأولى من تاريخ دمشق ١/ ٥ ــ ٥٠.

(١) أخذ وعطاء للدكتور بشار عواد معروف.

(٢) معجم البلدان ٢/ ٣٥٠.

(٣) ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٣١٠.

(٤) الكلمات والبحوث والقصائد الملقاة في الاحتفال بابن عساكر ص ٣٤٤ ــ ٣٦٠.

(٥) المصدر نفسه ص ٤٢١ ــ ٤٧٤.

وفـاتـه:

بعد حياة حافلة بالعلم والتأليف والتعلم، توفي أبو القاسم ليلة الأحد حادي عشر رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة[١]، مخلفاً وراءه مئات المجلدات والرسائل في جميع الفنون وخاصةً في ميدان التاريخ والحديث، ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير[٢].



---

(١) خريدة القصر ١/ ٢٧٧.

(٢) السير ٢٠/ ٥٧٠.

المبحث الثاني

موضوع الرسالة

تعريف الإملاء والأمالي:

الأمالي جمع إملاء على غير قياس[1]، ويجوز أن يقال فيه إملاء وإملال، قال الجوهري: «وأمليت الكتاب أمليه، وأمللته أمله، لغتان جاء بهما القرآن. . .»[2]، وكذا قال السخاوي: «يقال: أمليت الكتاب إملاءً، وأمليت إملالاً، جاء القرآن بهما جميعاً، قال تعالى: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾[3]، فهذا من أمل، وقال تعالى: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾[4]، فهذا من أملى، فيجوز أن تكون لغتان بمعنىً واحد، ويجوز أن يكون أصل أمليت أمللت، فاستثقل الجمع بين الحرفين في لفظٍ واحد، فأبدلوا أحدهما ياء. . .»[5].

وهو: أن يعقد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم

---

(١) المزهر ٢/ ٢١٣.

(٢) الصحاح ٤/ ١٢٦٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٥.

(٥) فتح المغيث ٣/ ٢٥٠.

العالم بما فتح الله سبحانه وتعالى عليه من العلم، ويكتبه التلاميذ فيصير كتاباً[1].

آدابــه:

للإملاء آداب تحدث عنه العلماء في مؤلفاتهم[2]، ومنها:

ـ استعداد الشيخ لمجلس الإملاء بالطهارة والتطيب، وافتتاح المجلس بالحمدلة والصلاة على النبي ﷺ.

ـ الجلوس بهيئة ووقار في مكان مرتفع في صدر المجلس.

ـ أن يتخذ مستملياً يبلغ عنه إلى من بعد من الحلقة، وإذا كثر الحضور فينبغي أن يزاد من المستملين.

ـ أن يكتب المستملي في أول القائمة، هذا مجلس أملاه شيخنا فلان، بجامع كذا يوم كذا ويذكر التاريخ[3].

ـ ألا يكثر من مجالس الإملاء، وأن يكون يوماً في الأسبوع ويستحب يوم الجمعة وفي المسجد، قال الكتاني: «وهو من وظائف العلماء قديماً، خصوصاً الحفاظ من أهل الحديث، في يوم من أيام الأسبوع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة وهو المستحب، كما يستحب أن يكون في المسجد لشرفهما»[4].

---

(١) كشف الظنون ١/ ١٦١.

(٢) انظر في ذلك: الإملاء والاستملاء للسمعاني، وتدريب الراوي ٣/ ٣٦٤.

(٣) الرسالة المستطرفة ص ١٥٩.

(٤) المصدر نفسه.

تـاريخـه:

قد عُرف الإملاء منذ عصر الرسول ﷺ، حيث أملى الكتب إلى الملوك وفي المصالحة[1]، ثم تبعه الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يملون الأحاديث على الناس وهم يكتبونها بين أيديهم، وجرى على ذلك التابعون وتابعيهم مثل شعبة بن الحجاج، ووكيع ابن الجراح وغيرهم[2]، واستمر على ذلك المحدثون، وكثرت الأمالي في مختلف العلوم والفنون، حتى اشتهى الإملاء بعض الخلفاء، ومن ذلك ما نقل عن المأمون قال: «ما أشتهي من لذات الدنيا إلاَّ أن يجتمع أصحاب الحديث عندي، ويجيء المستملي فيقول: من ذكرت أصلحك الله؟»[3].

ثم حدث مد وجزر، واندرس الإملاء بعد موت ابن الصلاح، إلى أن وصل القرن الثامن فافتتحه العراقي (٧٨٨هـ)[4] بالمدينة النبوية، وقد طلب منه قبل ذلك فامتنع، ثم بدأه بالقاهرة (٧٩٥هـ)، واستمر عليه عشر سنوات أملى خلالها أربعمائة وستة عشر مجلساً[5]، ثم جاء بعده ابن حجر، فأملى أكثر من ألف مجلس[6]، ثم جاء بعدهما السخاوي والسيوطي وغيرهما، فأمليا كثيراً، ثم اندرس الإملاء في القرون المتأخرة، لذهاب العلم وقلة العلماء الحفاظ والله المستعان.

---

(١) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ١/ ١٣٩ ــ ١٤٢.

(٢) المصدر نفسه ١/ ١٥٠ وما بعده.

(٣) الجامع للأخلاق الراوي ٢/ ٥٥.

(٤) الحافظ العراقي وأثره في السنَّة ٢/ ٥٦١.

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٥٦٣، و ٢/ ٥٥٧، وقد طبعت بعض أمالي العراقي بتحقيق محمد بن عبد المنعم، ونشرتهما مكتبة السنَّة (١٤١٠هـ).

(٦) تدريب الراوي ٢/ ٢١١، وقد طبعت الأمالي الحلبية، والمطلقة، وغيرها.

فـوائـده:

وهذه الأمالي لها فوائد عديدة منها:

١ ــ قول الخطيب البغدادي «يستحب عقد المجالس لإملاء الحديث، لأن ذلك أعلى مراتب الراوين، ومن أحسن مذاهب المحدثين، مع ما فيه من جمال الدين، والاقتداء بسنن السلف الصالحين»(١).

٢ ــ وقريب منه قال ابن دقيق العيد: «واستحبوا عقد مجلس الإملاء، تأسياً بالسلف الماضين، ولأنه لا يقوم بذلك إلاَّ أهل المعرفة...»(٢).

٣ ــ قول السخاوي: «ومن فوائده اعتناء الراوي بطرق الحديث وشواهده ومتابعه وعاضده، بحيث بها يتقوى، ويثبت لأجلها حكمه بالصحة أو غيرها ولا يتروى، ويرتب عليها إظهار الخفي من العلل...»(٣).

ومن أجل هذه الفوائد وغيرها، اعتنى العلماء بهذه المجالس.

ومن بين أولئك الذين اعتنوا بها اعتناءً فائقاً، الحافظ ابن عساكر رحمه الله، فقد بدأ بالإملاء مبكراً، ويظهر أنه بدأه لما عاد من رحلته الأولى من العراق، قال رحمه الله: فشرعت بذلك منذ (٥٣٣هـ)، في مسجد دمشق دار السنة، التي أصبحت فيما بعد دار الحديث النورية.

فأملى كثيراً من الأمالي فيها.

ومن تلك المجالس هذا المجلس الذي أملاه في يوم الجمعة

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي ٢/ ٥٥.
(٢) الاقتراح ص ٢٥٠.
(٣) فتح المغيث ٣/ ٢٤٩.

تاسع عشر جمادى الأولى، سنة خمس وخمسمائة، بجامع دمشق[1]، تحدث فيه عن فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو المجلس السادس والأربعون من أماليه العديدة.

ويحتوي هذا المجلس على حديثين طويلين مشهورين بارزين رواهما بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها، كان لكل منهما دلالته الخاصة به.

* **فالحديث الأول**: يدل على حسن المعاشرة مع الأهل، وعلى المكانة التي كانت تتبوؤها أم المَؤمنين لدى الرسول ﷺ، وعلى صفاء العلاقة بينهما وحسن المعاملة، وعلى جواز محادثة الأهل بما لا إثم فيه، **وهو المشهور بحديث أم زرع**.

وقد اعتنى العلماء بهذا الحديث ـ بشرح غريبه أحياناً، أو الكلام على معانيه وفوائده أحياناً أخرى ـ سواء داخل كتبهم، أو أفردوه بمؤلف خاص به.

وقد أشار ابن حجر إلى بعضهم بقوله: «وقد شرح حديث أم زرع، إسماعيل بن أبي أويس، وأبو عبيد القاسم بن سلام في غريب الحديث، وذكر أنه نقل عن عدة من أهل العلم لا يحفظ عددهم، وتعقب عليه فيه مواضع أبو سعيد الضرير النيسابوري، وأبو محمد بن قتيبة، كل منهما في تأليف مفرد، والخطابي في شرح البخاري، وثابت بن قاسم، وشرحه أيضاً: الزبير بن بكار، ثم أحمد بن عبيد بن ناصح، ثم أبو بكر بن الأنباري، ثم إسحاق الكاذي في جزءٍ مفرد، وذكر أنه جمعه عن يعقوب بن السكيت، وعن أبي عبيدة، وعن غيرهما، ثم أبو القاسم

(١) فضل أم المؤمنين عائشة ٤/أ.

عبد الحكيم بن حبان المصري، ثم الزمخشري في الفائق، ثم القاضي عياض وهو أجمعها وأوسعها، وأخذ منه غالب الشراح بعده»[١].

وقد وقفت على شروح أخرى لهذا الحديث منها: «شرح حديث أم زرع» محمد بن جرير الطبري[٢]، و «شرح حديث أم زرع» للبعلي اللغوي (ت ٧٠٩هـ)[٣]، و «مطرب السمع في شرح حديث أبي زرع» لتاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد المكي المخزومي (ت ٧٤٣هـ)[٤]، و «ريع القرع في شرح حديث أم زرع» لابن ناصر الدين الدمشقي[٥]، و «حسن القرع على حديث أم زرع» لأحمد بن عبد الغني الخليلي التميمي[٦]، وابن العربي المعافري، وغيرهم كثير.

* **وأما الحديث الثاني**: فهو يشتمل على المحنة التي عاشتها رضي الله عنها في حادثة الإفك، وهي السحابة السوداء، والمحنة الكبراء التي قاستها، ولكن عناية الله أدركتها، فبددت تلك السحابة، وردت إلى بيت النبوة طبيعتها، وخرجت السيدة عائشة من هذه المحنة منتصرة، بل

---

(١) فتح الباري ٩/ ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) مخطوط بكوبريلي في مجموع برقم ١٠٨٠.

(٣) طبع بعنوان: البعلي اللغوي وكتاباه: شرح حديث أم زرع، والمثلث ذو المعنى الواحد، تحقيق سليمان بن إبراهيم العايد، مكتبة الطالب الجامعي.

(٤) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ٢/ ١٧١٨.

(٥) منه نسخة بدار الكتب المصرية (٢٣٢٣٦ ب)، في (٣٩ ورقة)، ونسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط برقم (٢١٢٤ كتاني) في (٤٤ ورقة)، استفدته من كتاب شيخنا العالم المحقق محمد بن ناصر العجمي في مقدمة تحقيقه كتاب التنقيح في حديث التسبيح لابن ناصر الدين ص ٣٥، وذكر أنه يحقق.

(٦) مخطوط، له نسخة بالقدس في (١٣ ورقة)، تاريخ النسخ (١٢٠٣هـ).

زادت مكانتها في قلبه ﷺ، وضمت منقبة جديدة إلى مناقبها، بل شهادة ربانية بطهارتها، بآيات تتلى على الألسن إلى يوم القيامة.

ولم تقل عناية العلماء بهذا الحديث كالذي قبله، بشرحه مفرداً، أو شرحه مع غيره، منهم: الديرعاقولي، أبو يحيى عبد الكريم بن الهيثم القطان (ت ٢٧٨هـ) في جزء «حديث الإفك»[١]، والآجري في جزء فيه «طرق حديث الإفك»[٢]، وعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠هـ) في «حديث الإفك»[٣]، وابن العربي المعافري، وغيرها من كتب الحديث الكثيرة.

ومن هنا تظهر لك أهمية هذين الحديثين عند العلماء واهتمامهم بها، وقد استنبط القاضي عياض من هذا الأخير فوائد جمّة وعديدة[٤]، وكذا صنع النووي استخرج منها أربعة وخمسون فائدة»[٥].



(١) مخطوط، له نسخة بالجامعة الإسلامية في (١١ ورقة)، مجموع ٥/ ١٠٠٥، من (ورقة ٤٤ ـ ٥٤).

(٢) فتح الباري ١٣/ ٣٣٤، وصلة الحلف ص ٢١٣، والرسالة المستطرفة ص ١١٢.

(٣) مطبوع بتحقيق إبراهيم صالح، نشرته دار البشائر الإسلامية (١٤١٤هـ).

(٤) إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم ٨/ ٢٨٧ ـ ٢٩١.

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/ ١١٣ ـ ١١٦.

المبحث الثالث

المنهج المتبع في التحقيق

١ ــ نسخت المخطوطة وفق القواعد الإملائية الحديثة.

٢ ــ ترجمت لبعض الأعلام ترجمة مختصرة.

٣ ــ خرجت الأحاديث والروايات من مصادرها المعتمدة.

٤ ــ عزوت الآيات إلى سورها.

٥ ــ شرحت الغامض من الأسماء شرحاً مجملاً في حديث أم زرع، واكتفيت غالباً بشرح القاضي عياض لكونه أحسن ما كتب في شرح هذا الحديث.

٦ ــ حاولت إيراد وجهات العلماء في ذكر بريرة، وسعد بن معاذ في حديث الإفك.



القسم الثاني

النصّ المحقَّق

فضل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

المجلس السادس والأربعون من أمالي

الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله

ابن عساكر (ت ٥٧١هـ)

دراسة وتحقيق

الحسين بن محمد الحدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَعِنْ وَسَهِّل وَوَفِّقْ

[١] أَخبرنـا الْمشايـخ: أَبُـو عبـد الله محمد بـن الفضل الفُراوي(١)، / وأَبـو المـظفـر عبـد الْمنـعـم بـن عبـد الكـريـم الصـوفـي(٢)، وأَبـو القـاسـم زاهر بن طاهر الشحَّامِي(٣)، قالوا: أَخبرنا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن الْجَنـزرُودِي(٤)، أَخبرنـا أَبـو عمرو محمـد بنِ أَحمـد بن حمـدان، أَخبرنـا

(١) هو الشيخ الفقيه الإمام المسند النيسابوري، الشافعي (ت ٥٣٠هـ)، قال ابن عساكر: «وإلى محمد الفُراوي كانت رحلتي الثانية، لأنه كان المقصود بالرحلة في تلك الناحية، لما اجتمع فيه من علوّ الإسناد ووفور العلم، وصحّة الاعتقاد، وحسن الخلق، ولين الجانب والإقبال بكليته على الطالب». تبيين كذب المفتري ص ٣٢٥. ترجمته في: معجم شيوخ ابن عساكر ٢/ ١٠١٤، تبيين كذب المفتري ص ٣٢٢ ــ ٣٢٦، السير ١٩/ ٦١٥ ــ ٦١٩.

(٢) هو الشيخ المحدِّث ابن الأستاذ أبـي القاسم القشيري (ت ٥٣٢هـ)، ترجمته في: معجم شيوخ ابن عساكر ٢/ ٦٤٠، السير ١٩/ ٦٢٣، طبقات الشافعية للسبكي ٧/ ١٩٢ ــ ١٩٣.

(٣) هو الشيخ المحدِّث زاهر بن الشيخ المحدِّث الفقيه أبـي عبد الرحمن بن محمد الشحامي المستملي الشُّروطي الشاهد (ت ٥٣٣هـ)، ترجمته في: معجم شيوخ ابن عساكر ١/ ٣٥٢، السير ٢٠/ ٩ ــ ١٣، العبر ٤/ ٩١.

(٤) هو الشيخ الفقيه الإمام أبو سعد محمد بن عبد الرحمن النيسابوري الكَنْجَرُوذِيُّ =

أَحمد بن علي بن المتَّقي، أخبرنا أَحمد ابن جنَّاب، أَخبرنا عيسى بن يونس، عن هشام بن عروة، حدَّثني أَخي عبد الله بنِ عروة، عن أَبيه، عن عائِشة رضي الله عنها قالت: اِجْتَمَعْنَ إِحْدَى عشْرَةَ اِمْرأَةً فتعَاهَدْنَ وتعَاقَدْنَ[1] أَنْ لاَ يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئاً، فَقَالَتِ الأُولَى:

ــ زَوْجِي لحْمُ جَمَلٍ غَثٍّ عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ، لاَ سهْلٌ فَيُرتَقَى وَلاَ سَمِينٌ فَيُنتَقَل[2].

قَالَتِ الثَّانِيَةُ:

ــ زَوْجِي لاَ أَبُثُّ خَبَرَه، إِنِّي أَخَافُ أَنْ لاَ أَذَرَهُ، إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ[3].

= والجَنْزَرُوذِيُّ (ت ٤٥٣هـ)، ترجمته في: الأنساب ١٠/ ٤٧٩، السير ١٨/ ١٠١، العبر ٣/ ٣/ ٢٣٠.

(١) هي التحالف على أمر يقع الاتفاق عليه كأن الأمر قد عقدوه فيما بينهم، لئلا ينحلّ. منال الطالب وشرح طوال الغرائب ص ٥٣٩.

(٢) غث، أي: مهزول، ولا سمين فينتقل: صفة للحم، أي ينقله الناس إلى منازلهم للأكل ويروي «فينتقى»، أي: لا نقي له فيستخرج، ومعناه الإجمالي كما قال القاضي عياض: «وصفت هذه المرأة زوجها بالبخل وقلة الخير، وبُعده من أن ينال خيره ــ مع قلته ــ، كاللحم الهزيل أو الفاسد المنتن الذي يزهد فيه فلا يطلب، فكيف إذا كان على رأس جبل صعب وعر». بغية الرائد ص ٤٨.

(٣) لا أبت خبره، أي: لا أنشره وأشيعه، وقولها: «إني أخاف أن لا أذره»، أي: أنه لطوله وكثرته، إن بدأته لم أقدر على تمامه، وقولها: «إن أذكره أذكر عجره وبجره»، أي: أني إن ذكرته ذكرت همومه وأحزاني به. ومعناه العام تريد: أنَّ زوجي لا أخوض في ذكره لأني إن خضت فيه خِفت أن أفضحه وأذيع مثالبه وعيوبه، وأسراره. منال الطالب ص ٥٤٢.

قَالَتِ الثَّالِثَةُ:

ــ زَوْجِي العَشَنَّقُ، إنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ، وَإِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ(١).

قَالَتِ الرَّابِعَةُ:

ــ زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ لاَ حَرَّ ولا قَرَّ، وَلاَ مَخَافَةَ ولاَ سَآمَةَ(٢).

قَالَتِ الخَامِسَةُ:

ــ زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ، وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ، وإن نَامَ التَفَّ، ولاَ يُولِج الْكَفَّ، لِيَعْلَمَ البَثَّ(٣).

---

(١) العشنق: هو الطويل، وقولها: «إن أسكت أعلق...»، أي: علقني فتركني لا عزباء ولا مزوجة، وإن أذكر عيوبه طلقني، **قال القاضي عياض**: معناه: «قال الأصمعي: أرادت بذلك أنه ليس عنده أكثر من طوله بلا نفع، فإن ذكرت ما فيه من المعايب طلقني، وإن سكت تركني معلقة، لا إيماء ولا ذات بعل، تعني: ينتفع بها منفعة البعولة، ولست مطلقة فأستريح وأتفرغ لغيره من البعولة وأيأس منه، ولا أحسن صحبتي فاعتبط به، فأنا كالشيء المعلق بين العلو والسفل، غير المستقر في أحدهما». بغية الرائد ص ٦٥.

(٢) تهامة من بلاد الحجاز، يضرب به المثل في الطيب واللذة. طوال الغرائب ص ٥٤٣. والقَرُّ هو: البرد، والسآمة: الملال. ومعناه الإجمالي: «وصفته بحسن صحبتها، وجميل عشرتها، واعتدال حاله، وسلامة باطنه وثقتها به، وضربت المثل بليل تهامة لأن تهامة من بلاد الحجاز، مكة وما والاها بلاد حارة راكدة الريح». المصدر السابق ص ٦٨.

(٣) إذا أكل لفَّ: اللفّ في الأكل هو: الإكثار والتخليط من صنوفه. اشتفَّ: الاشتفاف في الشرب: استقصاء ما في الإناء. وإن نام التفّ: رقد في ناحية ولم يعاشرها. البثّ: الحزن. ومعناه الإجمالي: «ذمّت هذه المرأة زوجها فوصفته أوّلاً باللؤم والبخل والنهامة وسوء المعاشرة والمرافقة». القاضي عياض ص ٨١.

قَالَتِ السَّادِسَةُ:

ــ زَوْجِي عَيَايَاءُ أَوْ غَيَايَاءُ ــ شَكَّ عِيسَى ــ طَبَاقَاءُ، كُلُّ دَاءٍ لَّهُ دَاءٌ، شَجَّكِ أَوْ فَلَّكِ، أَوْ جَمَعَ كَلاَلكِ(١).

قَالَتِ السَّابِعَةُ:

ــ زَوْجِيَ إِنْ دَخَلَ فَهِدَ، وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ، وَلاَ يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ(٢).

قَالَتِ الثَّامِنَةُ:

ــ زَوْجِي اَلْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ(٣).

---

(١) قولها: عياياء، معناه: العنِّين الذي يعجز عن مباضعة النساء، أما الغياياء هو: الذي لا يهتدي إلى مسلك، والطباقاء: الذي انطبقت عليه الأمور، كل دواء له داء، أي: كل شيء من داء الناس فهو فيه، ومعنى «شجك وفلك»: الشج في الرأس، والفل هو: الكسر في سائر البدن، أو «جمع لها بين الشج والفل»، ومعناه الإجمالي: «وصفته بالحمق، والتناهي في جميع النقائص والعيوب، وسوء العشرة مع الأهل، وعجزه عن حاجتها، مع ضربها وأذاه إياها، وأنه إذا حدثته سبها، وإذا مازحته شجها، وإذا غضب إما شجها في رأسها أو كسر عضواً من أعضائها. . . أو جمع ذلك كله لها، من الضرب والجرح وكسر الأعضاء». بغية الرائد ص ٩١ ــ ٩٢.

(٢) قولها: إن دخل فهد: أي نام وغفل، فصار كالفهد لكثرة نومه، قولها: عمّا عهد: أي ما رأى في البيت وعرف. ومعناه الإجمالي: «وصفته بأنه كريم الطبع، نزيه الهمة، حسن العشرة، لين الجانب في بيته، ليس يتفقد ما ذهب من ماله، ولا يلتفت إلى جانب البيت، ولا يطلب ما فقد منه وعهد فيه من طعام، أو مأكول وشبهه. . . فشبهته بالفهد لذلك، وهذه الخصلة من مكارم الأخلاق». المصدر السابق، بتصرُّف، ص ٧٥.

(٣) الزرنب: نوع من الطيب، ومعناه الإجمالي: «تَصِفُ زوجها بلين الجانب للأهل، وحسن الخلق والعشرة معهن. . . وشبهته بالأرنب في لين مسه، وتريد بالريح

قَالَتِ التَّاسِعَة:

ـ زَوْجِي رَفيعُ الْعِمادِ، طَويلُ النِّجادِ عَظيمُ الرَّماد، قَريبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِي[1].

قالَتِ العاشِرَةُ:

ـ زَوْجي مالِكٌ وَمَا مَالِكٌ؟ مَالِكٌ خَيْـرٌ مِنْ ذَلِكَ، لَـهُ إِبِـلٌ قَلِيـلاَتُ المَسَـارِحِ، كَثِيـرَاتُ الْمَبَـارِكِ، إِذَا سَمِعْـنَ صَـوْتَ الْمُـزْهِـرِ، أَيْقَـنَّ أَنَّهُـنَّ هَوَالِك[2].

قَالَتِ الحَادي عَشْرَة:

ـ زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ وَمَا أَبُو زُرْعٍ؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَايَ، وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ

= أنه طيب ريح الجسد، أو هو طيب الذكر والثناء من الناس». بتصرُّف، المصدر السابق ص ٩٤.

(١) زوجي رفيع العماد، أي: عماد البيت. النجاد: حمائل السيف، النّادي: مجتمع رجال الحيّ، ومجلس مشورتهم. معناه: تصفه بالشرف في نسبه، والسؤدد في قومه، وطويل النجاد: النجاد حمائل السيف تصفه بطول القامة، عظيم الرماد: أرادت أن قدره لا تنزل عنه النار لأجل الضيوف، قريب البيت إلى الناد: النادي أو الندي المجلس، كما قال تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾، ومعناه الإجمالي: «تريد بذلك أن تصف زوجها بأنه شجاع في الحرب، مكرام للضيف إذا نزل بين ظهراني الناس، ومجتمع الحي».

(٢) المسارح: المراعي، المبارك: أي يبركن فيقريهن. المزهر: العود الذي يضرب به. ومعناه الإجمالي: وصفت زوجها بأنه: «لاستعداده للضيفان لا يوجه الإبل نهاراً إلاَّ قليلاً، ولكن يبْرُكْنَ بفنائه، فإن فاجأه ضيف وجدها حاضرة، فيقريه من لحمها ولبنها، وأنه من كثرة عادته بإنزال الضيفان وإطعامهم، وسقيهم وضرب المعازف عليهم ونحره الإبل، لذلك صارت الإبل إذا سمعت المعازف عرفت بجري عادتها أنها تنحر. بتصرُّف، من بغية الرائد ص ١٠٧ ــ ١٠٩.

عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، فَوَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَمَّحُ[1].

أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، وَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟ عُكُومُهَا رَدَاحٌ، وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ[2].

ابْنُ أَبِي زَرْعٍ وَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟ مَضْجَعَهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ، وَتُشْبِعُهُ ذِارَعُ الْجَفْرَةِ[3].

---

(١) معنى قولها: «ملأ من شحم عضدي»، أي: سمَّنني بإحسانه إليّ ولم ترد العضد فقط بل سائر الجسد، وقال: «وبجحني»، أي: فرحني، وقولها: «وأطيط»: أصوات الإبل، ودائس، أي: من دياس الطعام وهو دارسه. وأتقمح: من قمح البعير قموحاً: إذا رفع رأسه ولم يشرب؛ لريّه واكتفائه. طوال الغرائب ص ٥٥٢. ومعناه الإجمالي: «وصفته بأنه نقلها من شظف عيش أهلها، إلى أهل الثروة، والأموال الواسعة، من الخيل والإبل، والزرع والبقر والدواب الدائسة الكثيرة، والعبيد والخيول والماشية، وبأنه لا يردّ قولها، ولا يقبح عليها ما تأتي به من كلام». نقل بتصرُّف من المصدر السابق ص ١٢٥.

(٢) العكوم: جمع عِكم وهو العدل، وقيل: إناء تجعل فيه المرأة ذخيرتها. الرَّداح، بفتح الراء: العظام الممتلئة، ويقال: الثقيلة. وفساح: أي واسعٌ. البعلي اللغوي، شرح حديث أم زرع ص ١١٨، وطوال الغرائب ص ٥٥٣. ومعناه الإجمالي: «وصفته بسعة المال، وكثرة الخيرات والآلات، وسعة فناء البيت وكبره». بغية الرائد ص ١٣٦.

(٣) قولها: «مضجعه»، أي: مكان اضطجاعه، و «مسل شطبة»، أي: ما شطب من سعف النخل، و «الجفرة»: الأنثى من أولاد النعم، ومعناه الإجمالي: «وصفته بأنه مهفهف الخلق، ضرب اللحم، ليس ببطين ولا جط جعظري شواظ». بغية الرائد ص ١٣٨.

ابْنَةُ أَبِـي زَرْعٍ وَمَا ابْنَةُ أَبِـي زَرْعٍ، طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا[1].

جَارِيَةُ أَبِـي زَرْعٍ وَمَا جَارِيَةُ أَبِـي زَرْعٍ؟ لاَ تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثاً، وَلاَ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثاً، وَلاَ تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشاً[2].

قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ[3]، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ، فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَها، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رجلاً سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِّيًّا، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعماً ثَرِيًّا، قَالَ:

---

(١) قولها: «طوع أبيها...»، أي: لا تخالفهما فيما يأمرانها به لغفلها وحيائها، وقولها: «ملء كسائها»، أي: ممتلئة موضع الأزرة، وقولها: «غيظ جارتها»، أي: ضرتها أو تغتاط جارتها لما ترى من حسنها وجمالها، ومعناه الإجمالي: «وصفتها بأنه ممتلىء الجسم، كثيرة اللحم، وعبرت عن ذلك بملىء كسائها، لأنها لا تمتلىء إلاَّ لعظم جسمها، وهذا مما يمدح به النساء». المصدر السابق ص ١٣٢.

(٢) «لا تبث»، أي: لا تنشره وتطهره، وفي غير الصحيحين بالنون ومعناهما واحد، وقولها: «ولا تنقت»: التنقيت هو الإسراع في السير، وفي رواية: ولا تنقل، وقولها: «ولا تملأ بيتنا تعشيشاً»، أي: أنها مصلحة للبيت ولا تتركه متسخاً، والمعنى الإجمالي: «وصفته بالأمانة على السر والمال والقيام بمصالح خدمهم، والنصح لهم». المصدر السابق (١٥٢).

(٣) «والأوطاب تمخض»: تختص بأسقية اللبن، وقولها: «تمخض» تعالج لأخذ زبدها، وقولها: «معها ولدين كالفهدين»، روي كالصقرين: أي في الحدَّة والجفاء. طوال الغرائب ص ٥٥٨. ومعناه الإجمالي: «وصفت زوجه بأنه يخرج مبكراً من منزلها وغدوه كذلك، ثم وصفت ولديها بالفهدين لأن العرب كانت ترغب في الأولاد وتحرص على النسل». المصدر السابق ص ١٥٧.

كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ، قَالَتْ: فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِـي زَرْعٍ(١).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُنْتُ لَكِ كَأَبِـي زَرْعٍ لأُمِّ زَرْعٍ»(٢). اهـ.

---

(١) «برمانتين»: يحتمل معنيان أحدهما: ثدييها، ثانيهما: أنها عظيمة الكفل، وقولها: «سريا» بسين مهملة هو السيد، وقولها: «شريا»، أي: فرساً يستشري في جريه ويلج متمادياً، وقولها: «خطيا» بفتح الخاء المعجمة، أي: رمحاً منسوباً إلى الخط وهو موضع بناحية البحرين، وقولها: «وأراح علي» أي: لإراحة الماشية بالعشي، وقولها: «نعما» جمع نعمة، وقولها: «ثريا» الثري هو الكثير من كل شيء، وقولها: «ميري أهلك»، أي صليهم بالميرة وهي الطعام، ومعناه الإجمالي: «وصفت زوجها بالسؤدد في ذاته، والسعة في ذات يده، وأنه صاحب حرب وركوب...». بغية الرائد ص ١٦٣.

(٢) قال ابن حجر في الفتح ٣٤١/٩: زاد في رواية الهيثم بن عدي: «في الألفة والوفاء لا في الفرقة والجلاء»، وزاد الزبير في آخره: «إلاَّ أنه طلقها وأنا لا أطلقك»، ومثله في رواية الطبراني، وزاد النسائي في رواية له، والطبراني: قالت عائشة: يا رسول الله بل أنت خير من أبـي زرع. وفي أول رواية الزبير: بأبـي أنت وأمي، لأنت خير لي من أبـي زرع. قال القاضي عياض، بعدما تحدث عن أسانيد هذا الحديث وهل هو مرفوع أم موقوف قال: ولا خلاف في رفع قوله في هذا الحديث: «كنت لك كأبـي زرع لأم زرع»، وإنما الخلاف في بقيته، وقد قال أبو بكر بن ثابت الخطيب البغدادي الحافظ: «المرفوع من هذا الحديث إلى النبـي ﷺ قوله لعائشة: «كنت لك كأبـي زرع لأم زرع»، وأما ما عداه فمن كلام عائشة رضي الله عنها، حدثت به هي النبـي ﷺ، بين ذلك عيسى بن يونس في روايته، وأبو أويس، وأبو معاوية الضرير، وقد روي أن القائل ـ في حديث سعيد بن سلمة، ثم أنشأ يحدث الحديث، هو هشام حكى =

رَوَاهُ فِي الصَّحِيحِ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٍ عَنْ أَحْمَدَ ابْنَ جَنَابَ الْحَرْبِي كَذَا[1].

❑ ❑ ❑

= أن أباه أنشأ يحدث الحديث، فأوهم السامع أن عائشة أخبرت بذلك عن النبي ﷺ».
وقال أبو الحسن الدارقطني: الصحيح عن عائشة أنها هي التي حدثت النبي ﷺ بقصة النسوة، فقال لها حينئذٍ: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع»، وقول عيسى بن يونس، وسعيد بن سلمة، وسويد بن عبد العزيز ومن تابعهم عن هشام، عن أخيه عبد الله، عن أبيه، عن عائشة هو الصواب، ولا يدفع قول عقبة عن هشام، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة. بغية الرائد ص ٢٠ ــ ٢٢.
وقد تحدث ابن حجر أثناء شرحه لهذا الحديث بعد ترجيح رفع الحديث جميعه فقال: ويقوي رفع جميعه أن التشبيه المتفق على رفعه، يقتضي أن يكون النبي ﷺ قد سمع القصة وعرفها فأقرها، فيكون كله مرفوعاً من هذه الحيثية، ويكون المراد بقول الدارقطني والخطيب وغيرهما من النقاد، أن المرفوع منه ما ثبت في الصحيحين، والباقي موقوف من قول عائشة هو الذي تلفظ به النبي ﷺ لما سمع القصة من عائشة هو التشبيه فقط، ولم يريدوا أنه ليس بمرفوع حكماً، ويكون من عكس ذلك فنسب قص القصة من ابتدائها إلى انتهائها إلى النبي ﷺ واهماً. فتح الباري ٩/ ٣٤. اهـ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (ح ٥١٨٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع (ح ٦٢٥٥)، والترمذي في الشمائل ص ٢٥١ ــ ٢٥٣، والنسائي في شكر المرأة لزوجها (ح ٩٠٩٠)، وابن حبان (ح ٧١٠٤)، والبغوي (ح ٢٣٤٠).
وأخرجه البخاري ومسلم، وأبو يعلى، والطبراني، والبغوي، والقاضي عياض، من طريق عيسى بن يونس به، وأسند الطبراني فيه القصة إلى النبي ﷺ.
وأخرجه البخاري تعليقاً على سعيد بن سلمة عن هشام، ووصله مسلم والطبراني من طريقين: عن موسى بن إسماعيل، عن سعيد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أخيه. اهـ.

[٢] أَخبَرَنا الشَّيْخُ أَبُو الْمُظَفر عَبْدُ الْمنعِم بن عَبدِ الْكَرِيم القُشَيْري[١]، أَخبرنَا أَبُو عُثمَان سَعيدُ بنُ مُحمَّدٍ الخْيَري، أَخْبَرنَا أَبُو عَلِيٍّ زَاهِر بنِ أَحْمَد الفَقِيهِ، أَخبَرنَا أَبُو القَاسِم عَبدُ اللَّـهِ بنِ مُحَمَّدِ بن عَبدِ الْعَزيز البَغَوِي، حَدَّثنا أَبُو الرَّبيع الزَّهْراني، حَدَّثنا فُلَيحُ بنُ سُلَيمَان الْمدنِي، عن ابنِ شِهَابٍ الزُّهري، عَن عُروةُ ابنُ الزُّبير، وَسعِيد بنُ الْمَسَيب، وَعَلْقَمَة بنُ وَقاص، وَعُبَيدُ اللَّـه بنُ عَبدِ اللَّـهِ بنِ عُتبَة، عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّـه عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَها أَهْلُ الإِفكِ ما قالوا، فَبَرَّأَها الله مِنْه.

قَالَ الزُّهْرِي: وَكُلُّهُم حدَّثَنِي طَائفةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُم أَوْعَى مِن بَعْضٍ، وأَثْبت اقتصاصاً، وقَد وَعيْتُ عَن كُلِّ رَجُلٍ مِنهُمُ الْحدِيثَ الَّذي حدَّثني عن عَائِشَة، وبعضُ حَدِيثِهِمْ يُصدِّقُ بَعْضاً.

زَعَمُوا[٢]: أَنَّ عَائِشةَ رَضِيَ اللَّـه عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ:

كَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرجَ سَفراً، أَقْرعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهنَّ خَرجَ سَهمُها خَرجَ بهَا مَعه، قَالتْ: فَأَقْرعَ بَيْننَا فِي غَزاةٍ غزاهَا[٣]، فَخرجَ سَهْمي، وَخَرجْتُ مَعهُ بعْدَ ما أُنزِلَ الحِجابُ، وَأَنَا أُحمَلُ في هَودَجٍ وَأُنزَلُ فِيه، فَسِرنا حَتَّى إِذا فَرَغَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مِن غَزْوتِهِ تِلْكَ، فَقفَل، وَدنَوْنا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَن لَيْلَةً بِالرَّحِيل[٤]، فَقُمتُ حِين آذَنَ بِالرَّحِيل، فَمَشَيتُ حتَّى جاوَزتُ الجَيْش، فلمَّا قَضيْتُ شأْني، أَقبَلْتُ إلى الرَّحْلِ، فَلمَسْتُ صَدرِي

---

(١) تقدمت ترجمته: ص ٢٣.

(٢) قال ابن حجر: الزعم قد يقع موضع القول وإن لم يكن فيه تردُّد. ٨/ ٥٨١.

(٣) سيأتي الخلاف في المراد بهذه الغزوة ص ٣٩.

(٤) اذن: روي بالمد وتخفيف الذال، وبتشديدها ومعناهما، أي: أعلم.

فَإذا عِقْدٌ لي من جَزْعِ أَظْفارٍ[(١)] قَدِ انقطَع، فَرَجَعْتُ فالْتَمَسْتُ عِقْدِي، فَشَغلَنِي ابْتِغاؤُه، فَأقْبَلَ الَّذِينَ كَانُوْا يَرْحَلُونَ لِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي، فَرحَلُوهُ على بَعيري الَّذي كُنْتُ أَركَبُ، وهمْ يَحْسِبون أنِّي فِيه، وَكانَ النِّساءُ إِذْ ذاكَ خِفافاً، لم يَثْقُلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، وإنما يأْكُلنَ العُلْقَةَ[(٢)] مِن الطَّعام، فَلم يَستنكِرِ الْقَومُ حين رَفَعوهُ ثِقَلَ الهوْدَج فَاحْتَمَلوهُ، وكنتُ جاريةً حَديثَةَ السِّن، فَبَعَثوا الْجمَلَ وَسارُوا، فَوَجَدْتُ عِقْدي بَعْدَما اسْتمرَّ الجيْشُ، فَجِئْتُ مَنزلَهُم ولَيسَ فيهِ أَحَدٌ، فأَقَمْتُ مَنْزِلي الَّذي كُنْتُ فيهِ، وَظَنَنتُ أَنَّهُم سَيَفْقِدونني فَيرْجِعونَ إِلَيَّ، فَبينَما أَنا في مَنْزِلي غَلَبَتْني عَيْنايَ فَنِمْتُ، وَكان صفوانُ بنُ المعطَّلِ السُّلَمِي ثم الذَّكْواني من وَراءِ الْجيْش، فَأَصْبحَ عِنْد منْزِلي، فرأَى سَوادَ إِنْسانٍ نَائم فأَتاني، وَكانَ يَراني قَبْلَ الْحِجاب، فاسْتَيْقظتُ بِاسْتِرجَاعِهِ حينَ أَناخَ راحِلَتَهُ، فَوَطِىءَ عَلى يَدِها فَرَكِبْتُها، فانْطَلَق يَقودُ بـي الرَّاحلَةَ حتَّى أَتيْنا الجيْشَ، بَعدَما نَزَلُوا مُعَرِّسينَ[(٣)] في نَحْرِ الظَّهِيرَة، فَهلَك فِي مَن هَلَك[(٤)].

وَكانَ الَّذي تَولَّى كِبْرَ الإفكِ عبدُ اللَّـهِ بنُ أُبَـيٍّ ابنُ سَلُول، فَقَدِمْنا

(١) الجزع بفتح الجيم بعده سكون هو: خرز يماني، وظفار بفتح الظاء المعجمة: هي قرية في اليمن. وقيل: جبل. انظر: صحيح البخاري ٨/ ٥٨٢.

(٢) بضم العين، أي: القليل، ويقال لها أيضاً: البلغة. انظر: غريب الحديث لابن الأثير ٣/ ٢٩٠.

(٣) التعريس: هو النزول في أي وقت كان، وهناك من قيده بالنزول ليلاً لأجل النوم.

(٤) الذين اشتهر عنهم الخوض في حادثة الإفك في الروايات الصحيحة أربعة هم: عبد الله بن أُبـي ابن سلول، ومسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، فكلهم جلدوا، إلاَّ الخبيث عبد الله بن أبـي بن سلول. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١١٦، الجامع الكبير للترمذي ٥/ ٢٤٣، زاد المعاد ٣/ ٢٣٥ ــ ٢٣٦.

المَدِينَة فَاشْتَكَيتُ بِها شَهْراً، وَالنَّاسُ يُفيضُونَ فِي قَوْل أَصْحابِ الإِفكِ، وَلا أَشْعرُ بِشَيْءٍ مِن ذَلك، وَيُريبُني في وَجَعي أَنِّي لاَ أَعْرفُ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذي كُنتُ أَرَى مِنْهُ حِين أُمْرَضُ، إِنَّما يَدخُلُ فَيُسَلِّم عَليَّ ثُمَّ يَقولُ: كَيفَ تيكُم؟ فَذلكَ يُريبُني وَلا أَشْعُر بِذلكَ، فَخَرَجْتُ أَنا وَأُمُّ مِسْطَح قِبَلَ المَناصِع مُتَبَرِّزَنا، لاَ نَخْرجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلي لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبلَ أَنْ نَتَّخِذَ الكُنُفَ قَريباً مِن بُيوتِنا، وَأَمْرُنا أَمْرُ الْعَربِ الأُوَلِ في البَريةِ أَو الْتَنَزُّه[1]، فَأَقْبَلْتُ أَنا وَأُمُّ مِسْطَح بِنتُ أَبي رُهْم نَمْشِي، فَعَثَرتْ في مِرْطِها، فَقالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ[2]، فَقُلتُ لها: بِئْسَ ما قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهد بَدْراً؟ فَقالَت: يا هَنتاهُ، أَلَم تَسْمَعي ما قالُوا فيكِ؟ قالَت: فَقُلتُ: وَما قالُوا؟ فَأَخْبَرتْني بِقَوْل أَهْلِ الإِفْكِ، فَازْدَدتُ مَرَضاً عَلَى مَرَضِي.

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: كَيْفَ تيكُم؟ فَقُلتُ: ائذَن لي إِلَى أَبوايَ، وَأَنا حِينَئِذٍ أُريدُ أَن أَسْتَيقِن الْخَبر مِن قِبَلِهما، قَالَت فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَتَيتُ أَبوايَ فَقُلْتُ لأُمِّي: ما يَتَحدَّثُ به النَّاسُ؟ فَقالَتْ: يا بُنَيَّة، هَوِّني عَلَى نَفْسِكِ الشَّأْن، فَوَاللَّهِ لَقَلَّما كانَ امْرأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةً[3] عِندَ رَجُلٍ يُحِبُّها وَلَها ضَرائِرُ إِلاَّ كَثَّرنَ عَلَيْها، قَالَت: فَقُلْتُ سُبْحانَ اللَّهِ، وَلَقَدْ تَحدَّثَ النَّاسُ بِهَذا؟ قالَت: بَلى، قالَتْ: فَبِتُّ لَيْلَتي تِلْك حَتَّى أَصْبَحَتْ لاَ يَرقَى لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْم.

ثُمَّ أَصْبَحْتُ وَدَعا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بنَ أَبي طَالِبٍ، وَأُسامَة بنَ زَيْدٍ، حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ يَستَشيرُهُما فِي فِراقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بنُ

---

(١) التنزه، أي: في البعد بذلك عن المنازل.

(٢) تعس بمعنى: هلك.

(٣) الوضيئة مهموزةٌ ممدودة هي: الجميلة الحسنة.

زيدٍ، فَأَشَار عَلَيْهِ بِالَّذي يَعْلَمُ مَن يراهُ أَهْلُه، وبالَّذي يَعْلَم فِي نَفْسِه مِنَ الْوُدِّ لَهُم، فَقَال أُسامَةُ: أَهْلُكَ يا رَسُولَ اللَّـهِ، وَلاَ نعْلَم واللَّـهِ إلاَّ خَيْراً، وَأَما عَلِيُّ بنُ أَبـي طَالِب فَقَالَ: يا رَسُولَ اللَّـهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّـهُ عَلَيْك، وَالنِّسَاءُ سِواهَا كَثِيْر، وَسَلِ الْجارِيةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ بَرِيرَةَ[1]، فَقَال: «يَا بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْها شَيْئاً يُرِيبُكِ»، فَقالَتْ بَرِيرَةُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَك بِالْحَقِّ، مَا رَأَيْتُ مِنْها أَمْراً أَغْمِصُهُ[2] عَلَيْها أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنامُ عَنِ الْعَجينِ، فَتَأْتي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلَه.

قَالَتْ: فَقامَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مِنْ يَوْمِه فاسْتَعذَر مِنْ عَبدِ اللَّـهِ بن أُبـي بن سلُول، قَالَتْ: فَقالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «مَنْ يَعذُرُني مِنْ رَجُلٍ بَلَغَني أَذَاهُ فِي أَهْلي، فَوَاللَّـهِ فَوَاللَّـهِ مَا عَلِمْتُ على أَهْلِي إِلاَّ خَيْراً، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْه إِلاَّ خَيْراً، وَما كانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ إِلاَّ مَعي»، قالَتْ: فَقامَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ[3] فَقالَ: يا رَسُولُ اللَّـهِ، أَنا وَاللَّـهِ أَعْذِرُكَ منهُ، إِنْ كانَ مِن الأَوْسِ

---

(١) نبه ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٢٤٠، والزركشي في الإجابة ص ٥٢، والذهبـي في السير ٢/ ٣٠٣ وغيرهم ـ على أن ذكر بريرة هنا مؤول أو وهم، لأن عائشة لم تشتريها بعد، وملخص أجوبتهم ثلاثة أقوال ما يلي: **الأول**: أنها كانت تخدم عائشة بالأجرة وهي في رق قبل وقوع قصتها والمكاتبة، **والثاني**: أن تفسير الجارية ببريرة مدرج في الحديث من بعض الرواة ظنًا منه أنها هي، **والثالث**: أنها ليست هي بل هي أخرى.

(٢) بفتح الهمزة وكسر الميم هو: أعيبها.

(٣) وقد تكلم القاضي عياض بكلام نفيس حول ذكر سعد بن معاذ مع أنه توفي في غزوة الخندق سنة أربع فقال رحمه الله: «وفي هذا الحديث موضع كبير الإشكال، لم يتكلم عليه الناس، نبهنا عنه بعض شيوخنا المعنيين بهذا الشأن، وباحثنا عنه غيره، وهو قولها: «فقام سعد بن معاذ، وقال أنا أعذرك منه =

ضَرَبْنا عُنُقَهُ، وَإِنْ كانَ مِنْ إِخْوانِنا مِنَ الخزْرَج، أَمَرْتَنا فَفَعَلْنا فيهِ أمرَكَ، فَقامَ سَعدُ بنُ عُبادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزرجِ، وَكانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلاً صالحاً وَلَكِنَّ حَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقالَ: كذبتَ لَعَمْرُ اللَّـهِ لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِك فَقال: أُسَيْدُ بنُ حُضَيرٍ، كَذَبتَ لَعَمْر اللَّـهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنافِقٌ تُجادِلُ عَن الْمُنافِقين، قالَ: فَتَمادَى الْحَيانِ الأَوْسُ وَالْخَزرَجُ حتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّـهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَر، فَنَزلَ فَخَفَّضَهُم حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ.

= يا رسول الله»، وغزوة المريسيع التي وقعت فيها هذه القصة هي غزوة بني المصطلق سنة ست فيما ذكر ابن إسحاق، وسعد بن معاذ توفي بأثر غزوة الخندق من الرمية التي رمي بها فيه، وذلك سنة أربع بإجماع من أصحاب الخبر، إلاَّ شيئاً روي قاله الواقدي مما نذكره، قال: وكيف يصح على هذا ذكر سعد بن معاذ في الخبر؟ قال: وذكره عندي وهم، والأشبه أنه غيره، ولهذا لم يقله ابن إسحاق في السير، وإنما قال: إن المتكلم أولاً وآخراً أسيد بن حضير، وبحث غيره من شيوخنا عن ذلك فقال لي، لم يصح ذكر سعد بن معاذ، للاختلاف في تاريخ غزوة المريسيع، فابن عتبة يقول: إنها سنة أربع في سنة غزوة الخندق، ثم بحثت عما لإصحاب السير والأخبار في ذلك فوجدت الطبري ذكر عن الواقدي أن المريسيع سنة خمس، قال: وكانت الخندق وقريضة بعدها، ووجدت القاضي إسماعيل قال: اختلف في ذلك، والأولى أن تكون المريسيع قبلها، وهذا والله أعلم بذكر سعد في قصة الإفك، وكانت في المريسيع، فعلى هذا يستقيم قول من قال فيه سعد بن معاذ وهو الذي في الصحيحين إن شاء الله تعالى ويكون قول غير ابن إسحاق أصح من قول ابن إسحاق لا سيما وقد كرر في الصحيح ذكر سعد بن معاذ في مراجعة أسيد بن حضير فقال: وهو ابن عم سعد لينبه على نصرته لقوله قبل». اهـ. انظره في: إكمال المعلم ٨/ ٣٠١ ــ ٣٠٣، وجوامع السير ص ١٦٣، وزاد المعاد ٣/ ٢٣٧، وفتح الباري ٨/ ٣٦٠، ونقله النووي عن القاضي عياض في شرح صحيح مسلم ١٨/ ١٠٩.

قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوم، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبَوَايَ وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتِي وَيَوْمِي، حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ البُكَاءَ فالِقٌ كَبِدي، قالَتْ: فَبَيْنَما هُمَا جالِسانِ عِنْدي، وَأَنا أَبْكِي، فَاسْتَأْذَنَتِ امرأَةٌ مِن الأَنْصارِ فَأَذِنْتُ لَهَا، فَجَلستْ تَبْكِي مَعي.

قَالَت: فَبَينَما نَحْنُ كَذَلِك إذ دَخَلَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ، فَجَلَسَ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْ يَوْم قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ مَكَثَ شَهْراً لاَ يُوحَى اللَّـهُ فِي شَأْنِي شَيْءٌ، قَالَت: فَتَشَهَّدَ ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ قَد بَلَغَني عنكِ كَذا وَكذَا، فَإِن كُنتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبْرِؤُكِ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِن كُنتِ أَلْمَمْتِ بِخَطِيئَةٍ، فَاسْتَغفِري اللَّـهَ، وَتُوبـي إِلَيْه، فَإِنَّ الْعبدَ إِذَا اعْتَرفَ لِلَّـهِ بِذَنبِهِ، ثُمَّ تَابَ، تَابَ اللَّـهُ عَلَيْهِ».

فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمعي حتَّى مَا أُحِسُّ منهُ قَطرَةً، فَقُلْتُ لأَبِـي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ فِيمَا قالَ، قَالَ: وَاللَّـهِ مَا أَدْرِي ما أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، فَقُلْت لأُمِّي: أَجِيبـي عَنِّي رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ فِيمَا قالَ، قالَتْ: وَاللَّـهِ مَا أَدْرِي ما أَقولُ لِرسُولِ اللَّـهِ ﷺ، قَالَتْ: وَأَنا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السنِّ لاَ أَقْرأُ كثيراً مِنَ الْقُرآنِ، فَقُلْتُ: إِنِّي وَاللَّـهِ لَقَدْ عَلِمتُ أَنَّكُم قَدْ سَمِعْتُم بِما تَحَدَّثَ بِه، وَوَقَعَ فِي أَنْفُسِكُم وصَدَّقْتُم بِهِ، وَلَئِنْ قُلتُ لَكُم: إِنِّي بَرِيئَةٌ، واللَّـهُ يَعْلَم أَنِّي لَبَرِيئَةٌ ــ لاَ تُصَدِّقُوني بِذَلك، وَلَئِن اعترفتُ لَكُمْ بِأَمْر اللَّـهِ يَعْلَم أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ ــ لَتُصَدِّقُنِّي، وَاللَّـهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُم مَثَلاً إلاَّ أَبَا يوسُفَ إِذْ قالَ: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨ ﴾[١].

قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ عَلَى فِراشِي، وَأَنا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّئَنِي اللَّـهُ بِبَرأَةٍ،

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.

وَلَكِنْ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنْزِلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ، وَلاَ أَنَا أَصْغَرُ فِي نَفْسِي مِن أَنْ يُتكلَّمَ بِالْقُرآنِ فِي أَمْرِي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجوْ أَن يُرِيَ اللَّـهُ رَسُولَه فِي النَّومِ رُؤْيَا تُبرِّئُنِي.

قَالَت: فَوَاللَّـهِ ما رَامَ مَجْلِسَهُ، وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِن السَّكَن، حتَّى أُنزِلَ علَيهِ، فَأَخَذَه مِن البُرَحَاءِ[1] حتَّى إِنَّه لَيَنْحَدِرُ مِنهُ مثلُ الْجُمَانِ[2] مِنَ العَرَقِ فِي يَوم شَاتِي، فلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ وهُو يَضْحَكُ، كَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تكلَّمَ بِهَا رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ أَنْ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، احمدي الله فَقدْ بَرَّأَكِ اللَّـهُ».

قَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، فَقُلْتُ: لَا أَقومُ إِلَيْه، وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنزلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ. . . ﴾ الآيات كلها[3].

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا فِي بَرَأَتِي، قَالَ أَبُو بَكْر الصَّدِّيقُ رضي الله عنه وَكَانَ يُنفِقُ عَلَى مِسْطَح بنِ أَثَاثَةَ لِقَرابَتِه مِنْهُ، فَقَالَ: وَاللَّـهِ لاَ أُنفقُ عَلَى مِسْطَح شَيْئاً أَبَداً بَعْدَما قَالَ لعائِشَة، فَأَنزَلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[4]، قَالَ أَبُو بَكْر: بلَى وَاللَّـهِ إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغفِرَ اللَّـهُ لِي، فَرجَعَ إِلَى مِسْطَحِ الَّذِي كَانَ يُجْري علَيهِ.

قالَت: وَكَانَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ يَسْأَلُ زَينَبَ بنتِ جَحشٍ عنْ أَمْرِي،

---

(١) بضم البـاء، وفتح الراء، وبالحاء المهملة، والمد هو: الشدة. النهاية في غريب الحديث ١/ ١١٣.

(٢) بضم الجيم وتخفيف الميم هو: الدُرُّ.

(٣) سورة النور: الآيات ١١ ــ ٢٠.

(٤) سورة النور: الآية ٢٢.

فقالَتْ زَينَبُ: مَا عَلِمْت ولاَ رَأَيتُ إلاَّ خَيراً، قالَت عائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كانَتْ تُسَامِينِي[1] فَعَصَمهَا اللَّـهُ بِالوَرَعِ. اهـ.

رواه البخاري ومسلم عن أبـي الربيع[2].



---

(١) هي مفاعلة من السمو، وهو الارتفاع، أي: تفاخرني وتضاهيني بجمالها ومكانتها عند النبي ﷺ. النهاية في غريب الحديث ٢/ ٤٠٥.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة...» (ح ٤٧٥٧)، وفي كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (ح ٧٣٦٩)، تعليقاً عن أبـي أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة. وفي كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (ح ٢٦٦١)، وفي كتاب التفسير، باب «لولا إذ سمعتموه» (ح ٤٧٥٠)، والطبراني ٢٣/ ١٣٦ من طريق أبـي الربيع الزهراني بهذا الإسناد.

وأخرجه أيضاً الطبراني ٢٣/ ١٣٦ من طريق حجاج بن إبراهيم الأزرق عن فليح، به.

وأخرجه أبو يعلى (٤٩٣١) من طريق حوثرة بن أشرس، والطبراني ٢٣/ ١٤٩ من طريق حجاج بن عبد المنهال، وأبو داوود، في كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل ولده (ح ٥٢١٩)، والبيهقي (٧/ ١٠١)، من طريق موسى بن إسماعيل، ثلاثتهم عن حماد بن سلمة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، ولفظ موسى بن إسماعيل مختصر.

ووصله مسلم في كتاب التوبة، باب حادثة الإفك (ح ٦٩٥٣)، والترمذي في تفسير سورة النور (ح ٣١٨٠)، والطبراني ٢٣/ ١٥٠، من طرق أبـي أسامة به.

[٣] أخبرنا الشيخ أبو العز أحمد بن عبد الله العُكْبَرِي[١]، أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن لؤلؤ، أخبرنا محمد بن أيوب السقطي، حدثنا داوود بن رشيد حدثنا عتاب بن بشير عن حصيف، عن سعيد بن جبير في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٢]، قال: نزلت في عائشة خاصة[٣].

❑ ❑ ❑

---

(١) هو الشيخ الفقيه الإمام أحمد بن عبيد بن محمد أبو العز، المعروف بابن كادش، السلمي العُكْبَري (ت ٥٢٦هـ)، ترجمته في: معجم شيوخ ابن عساكر ١/ ٤٩، السير ١٩/ ٥٥٨ ــ ٥٦٠، ميزان الاعتدال ١/ ١١٨.

(٢) سورة النور: الآية ٢٣.

(٣) تفسير الطبري ٢٣/ ١٥١، وتفسير سفيان ص ٢٢٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٩، والحاكم في المستدرك ٤/ ١٠، والطبراني ٢٣/ ١٥١.

[٤] أخبرنا الشيخ أبو القاسم هبة الله بن أحمد الحريري(١)، أخبرنا أبو طالب محمد بن علي الحربي، أخبرنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن سمعون إملاء(٢)، نا محمد بن جعفر، نا أحمد بن عمر، نا بنو بكر، أنا زكريا بن زائدة عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(٣).

قال: عذاب الدنيا: الحدود، وفي الآخرة: جهنم، قال يزيد(٤): وهي لأصحاب عائشة لم تنزل لهم توبة(٥).



(١) هبة الله بن عمر أبو القاسم الحريري المقرىء المعروف بابن الطبري (ت ٥٣١هـ). معجم الشيوخ لابن عساكر ٢/١٢٠٨.

(٢) هو: الحافظ المحدِّث الواعظ أبو الحسين محمد بن أحمد المعروف بابن سمعون البغدادي الحنبلي (ت ٣٨٧هـ)، ترجمته في: السير ١٦/٥٠٥، العبر ٣/٣٦، طبقات الحنابلة ٣/٢٧٧.

(٣) سورة النور: الآية ١٩.

(٤) هو: ابن هارون الواسطي.

(٥) أمالي ابن سمعون ص ٢٥٢.

[٥] أخبرنا الشيخ أَبو المظفر بن القشيري[١]، أخبرنا أبـي، أخبرنا أبو نعيم الإسفريني، أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، ومحمد بن حرب المدني قالا: حدثنا إسماعيل بن أبـي أويس، حدثني أبـي قال: وقال حسان بن ثابت الأنصاري ثم النجاري[٢]، وهو يبرىءُ عائشة مما قيل فيها، ويعْتذر إليها في الشعر:

حَصَـانٌ رزَانٌ مَـا تُـزَنُّ بِـرِيبَـةٍ ... وَتُصْبِـحُ غَرْثَى مِنْ لحُومِ الغَوَافِلِ[٣]
حَليلـةُ خيْـرِ النَّـاسِ دينـاً ومنصِبـاً ... نَبـيُّ الْهدَى والمكْرماتِ الفَواضِلِ
عَقِيلَـةُ حَـيٍّ مِـن لُـؤَيِّ بـنِ غَـالِـبٍ ... كِرام المسَاعِي مَجْدَهَا غيْر زَائِلِ
مُهـذَّبـةٌ قَـد طَيَّـبَ اللَّـه خِيمَهـا ... وَطَهَّـرهَـا مِـن كُـلِّ سُوءٍ وَبـاطِـلِ
فَـإنْ كَـانَ مَـا قَـد جَـاءَ عَنِّـي قُلته[٤] ... فَـلا رَفعـت سَـوطِـي إِلَـيَّ أنـامِلـي
وإِن الَّـذِي قَـد قيـلَ لَيـسَ بِـلاَئـطٍ ... بهَا الدَّهْر بَل قَولُ امرِءٍ بِـي مَاحِلِ
فَكَيـفَ وَوُدِّي مَـا حَيِيتُ وَنُصْرتـي ... لآلِ رَسُـولِ اللَّـهِ زَيـنُ الْمَحـافِـلِ
لَـهُ رتَـب عـالٍ عَلـى النَّـاس فَضلُهـا ... تَقَـاصَـرَ عَنْهـا سـورَةُ الْمُتَطـاوِلِ[٥]

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٢٣.

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ١٩١.

(٣) ورد في صحيح البخاري كتاب التفسير، باب ويبين الله لكم الآيات (ح ٤٧٥٦)، وفي شرح صحيح مسلم كتاب التوبة، باب حادثة الإفك (ح ٦٩٥٢) ١٦/ ٢٦٢، ومعجم الطبراني ٢٣/ ١٣٥، بعد أن ذكر حسان البيت الأول قالت له عائشة: «لَكنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ».

(٤) في ديوان حسّان بن ثابت: «فإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم». ص ١٩١.

(٥) ووفـق الفراغ مـن قـراءة هـذا الجـزء المفيـد، في الشهـر المبـارك في مجلسين: أولهما: على شيخنـا العالم المحقق محمد بن ناصر العجمي ـ حفظه الله ـ بين المغـربيـن ليلـة ٢٤ مـن رمضـان مـن بـدايـة المخطـوط إلـى نصفـه، وهـو قـول =

. . . .

❑❑❑

= ابن عساكر رحمه الله بعد حديث أم زرع قال: . . . رواه في الصحيح، وأخرجه مسلم عن أحمد بن جناب الحربي كذا.

والمجلس الثاني: على شيخنا الجليل، عالم البحرين نظام بن محمد صالح يعقوبي ـ حفظه الله ـ كاملاً ليلة ٢٥ من رمضان من بعد صلاة العصر إلى أذان صلاة العشاء، وكتب حفظه الله بيده الكريمة السماع التالي:

طباق السماع بقلم فضيلة شيخنا الجليل نظام بن محمد صالح يعقوبي

الحمد لله وكفى، والصَّلاة والسَّلام على عباده الذين اصطفى، لا سيَّما سيدنا المصطفى، وآله وصحبه أهل العدل والوفاء.

أمَّا بعدُ:

فقد قرأ عليَّ الأخ الأستاذ: الحسين بن محمد الحدادي، جزء الحافظ ابن عساكر المسمى: (السادس والأربعون من أمالي الحافظ أبي القاسم ابن عساكر في فضل عائشة رضي الله عنها)، من أوله إلى آخره، وذلك بعد صلاة العصر من يوم الخميس ٢٥ رمضان المبارك سنة (١٤٢٤هـ)، بصحن المسجد الحرام، تجاه الكعبة المشرفة، وبحضور جمع من الفضلاء الأخيار، منهم: الشيخ محمد بن ناصر العجمي، والشيخ الدكتور عبد الرؤوف الكمالي، والدكتور عبد الله المحارب، والشيخ العربي الدائز الفرياطي، والشيخ خالد مدرك، فصحَّ وثبت والحمد لله، وأجزته بروايته عني والحاضرين، وكذا بسائر المرويات والمسموعات، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه خادم العلم الفقير إلى الله

نظام يعقوبي

بالمسجد الحرام تجاه

الركن اليماني من الكعبة المشرفة

السماعات

السماع الأول:

سمع جميع هذا الجزء من لفظ ممليه الشيخ الفقيه الأجل الإمام العالم الحافظ الثقة أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، **بإملاء**: الشيخ الفقيه أبي الفضل محمد بن يوسف بن فارس السلمي، **الشيوخ**: الفقيه أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، وأبو حفص عمر بن علي بن المندوخ المتطيب المصري، وأَبو الخير صالح بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الخُوَارِزمي، وأَبو الثناء أحمد بن المارح المقرىء، وأبو الحسن علي بن هنيدة الجرمي، وأَبو الطاهر ابن أَبي عبد الله بن الحسن الصانع، وهناد بن مشاور الفُراوي، ويوسف بن مجلي بن محمد بن إبراهيم الحريري، وإبراهيم بن يوسف بن عبد الشاج، وأبو بكر بن أَبي طاهر بن أبي بكر العربي، وأَبو محمد بن سنان الفرطائي، وزيد بن محمد بن قائد الحاري، وَأَبو العباس بن أحمد عيسى بن دَرباسٍ الماراني، وعبد الرحمن بن عبد الرحمن بن جَهْمَان، وعمه محمد بن حمدان بن سالم العرضي، ومحمد بن محمد الحنفي.

وحضره: ابن بركات العسكري، وإبراهيم بن السايس المغربل، وعبد الرحمن بن علي بن محمد الغزاز، وأَبو القاسم سليمان بن عمي الآدمي، وعبد الواحد بن مقري بن الحسن المتصوف، وإبراهيم بن أبي القاسم بن عبد الجليل الحجازي، ومحمد بن أحمد الأربلي، وعلي بن ترام الفارقي، وأَبو القاسم بن الحسن المعروف بالسديد المقرىءُ، ومحمد بن حسين بن محمد العكبري، وعبد الله والحسن بن هبة الله ابنا محفوظ بن صرصري بن جماعيل، في جماعة آخرين لم أُسمهم، وكاتب السماع: محمد بن محمد بن حمد أَبي جميل القريشي.

وذلك في يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى، سنة خمس وخمسمائة، بجامع دمشق عمرها الله تعالى كرماً. فصح وثبت.

والحمد لله وصلواته على سيدنا محمد النبي المرسل.

السماع الثاني:

أخبرنا به جماعة من شيوخنا إجازةً بإجازتهم من ابن المحب بإجازته من ابن مزيز الحموي، بإجازته أو سماعه من سديد الدين، بإجازته أو سماعه من ممليه الحافظ أبي القاسم ابن عساكر.

وكتب يوسف بن عبد الهادي.

السماع الثالث:

الحمد لله، سمعه من لفظي، ولدي بدر الدين، وحسن، وبعضه حضره عبد الهادي وعبد الله، وأُمه بلبل بنت عبد الله.

وصح ذلك يوم الجمعة خامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة

سبع وسبعين وثمان مائة، وأَجزت لهم أَن يروه عني وجميع ما يصح لي روايته بشرطه.

وكتب يوسف بن عبد الهادي. اهـ[1].

❑ ❑ ❑

(١) تمت مراجعته مع مجموعة من طلبة العلم بالمدينة النبوية، فَصحَّ وثبت.

وكتبه

العبد المحتاج إلى رحمة ربه الهادي

الحسين بن محمد الحدادي البوكمازي الزلالي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين أجمعين.

فهـــرس الموضوعـــات

● ● ●